دور الطلبة الجزائريين
في الثورة التحريرية المسلحة
(1954 ـ 1962)

الأستاذ : فريح لخميسي

مقدمة

إن أي حركة تغيير لا تأتي من فراغ، ولا من محض الصدفة، وإنما تحدث عندما تتضح الفكرة وتتجلى بوضوح، فيعمل بها العاملون بإخلاص، فتحقق بذلك حركة التغيير المقصودة.

وإن أول من يختمر عندهم الإيمان بحتمية التغيير هم المفكرون والعلماء، وطلبة العلم والداركون لتوقيت بلوغ هدف الفكرة المراد تحقيقها، فيتسابقون لتبنيها، ويستميتون لنصرتها والدفاع عنها حتى تصير واقعا يعيشون في كنفه.

فالرسول الكريم ﷺ أول ما فكر فيه وقرره ـ وهو الذي يوحي إليه ـ بعد وصوله إلى المدينة المنورة مهاجرا، قام ببناء مسجد يكون جامعة يتخرج منها من يفتحون القلوب قبل الأمصار ويحملون حركة التغيير إلى العالم، ويبلغون رسالة ربهم إلى الناس أجمعين محتواها في ذلك « إن الدين عند اللّه الإسلام».

وعندما نأخذ النماذج، ونضرب الأمثال حول دور المثقفين في حركة التغيير تبدو لنا صورة صيحات مارتن لوثر، وزونجلي، وكالفن من جامعات أوروبا في عصر النهضة ماثلة تدعو للثورة ضد فساد الكنيسة، وداعية إلى المطالبة بإصلاحها، وبتلك الصيحات التي انطلقت من أسوار الجامعات، أخرجت أوروبا من ظلمتها إلى التنوير فالثورة الصناعية، إلى حالها اليوم من تطور ورخاء.

وصيحات المثقفين الجزائريين ومنهم طلاب العلم في الكفاح الوطني. طوال فترة الحكم الاستعماري التي دامت قرناً و ثلاثين عاما لم تعرف الفتور والانقطاع

فحمدان بن عثمان خوجة وبوضربة والأمير عبد القادر، والشيخ بوزيان، والشيخ الصادق الرحماني والحاج عمر الرحماني والشيخ محمد بن عبد اللّه، والشيخ الحداد والشيخ عزيز الحداد، والشيخ عمر بوعرعور ومحمد بوخنتاش البراكتي وغيرهم، في القرن التاسع عشر.

أما في القرن العشرين فقد نما قطاع طلبة العلم والمثقفين، وكثر عددهم وتضاعف وتنوعت ثقافته وأيديولوجيته واتجاهاته تبعا لاختلاف نوع اللغة والثقافة التي تعلمها فظهرت ثلاث فئات أو كتل ثقافية هي:

1 ـ فئة المثقفين ثقافة عربية إسلامية محضة، محافظة وسلفية وتقليدية كذلك ومن أهم أهدافها المحافظة على الشخصية العربية الإسلامية للجزائر وشعبها ومقاومة الاستعمار بمختلف الوسائل.

2 ـ فئة المثقفين ثقافة فرنسية محضة، ومن سماتها التنكر دائما للثقافة الوطنية العربية الإسلامية واتهامها بالركود والخمول وتحميلها، ظلما وعدوانا، أسباب تخلف المجتمع الجزائري وتدهور أوضاعه الاقتصادية والاجتماعية.

3 ـ فئة المثقفين ثقافة مزدوجة فرنسية وعربية إسلامية ومن سماتها التمسك بالأصالة الوطنية الجزائرية من جهة والاستفادة من الثقافة الغربية المتطورة من جهة أخرى ومن بين إيجابيات هذه الفئة أنها حاولت أن تقرب الشقة بين الفئتين السابقتين لها وتكون هي همزة وصل بينهما وتذيب تلك الفوارق والتناقضات بينهما وأن تزيد الثقة بين الفئتين السابقتين. ومن رواد الطلبة والمثقفين في القرن العشرين على سبيل الذكر لا الحصر باختلاف ثقافتهم واتجاهتهم وأهدافهم وأساليبهم «الشيخ حمدان لونيسي والشيخ المولود بن الموهوب والشيخ عبد الحميد بن سماية والشيخ الطيب العقبي، الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ الإبراهيمي والشيخ العربي التبسي والشيخ مبارك الميلي والأمين العمودي والعربي فخار وعمر راسم وأبو القاسم الحفناوي والأمير

خالد وعبد القادر المجاوي وفرحات عباس وأحمد فرنسيس والدكتور سعدان وعمر بن قدور والدكتور تامزالي وعلي بومنجل وأحمد بومنجل والدكتور بن جلول... وغيرهم.

ورغم خرافة التفوق العرقي للعنصر الفرنسي التي عملت الإدارة الفرنسية على غرسها وتعميقها في هذه البلاد، فإن الطالب الجزائري أثبت جدارته وكفاءته وأظهر شخصيته وأبرزها، بعد الحرب العالمية الأولى وأنشأ ودادية الطلبة الجزائريين عام 1920 التي ترأسها فيما بعد الطالب والصيدلي فرحات عباس عام 1926, وتحولت فيما بعد إلى جمعية الطلبة المسلمين الجزائريين وشارك بعض أعضائها في تكوين جمعية طلبة شمال إفريقيا بباريس.

وقد لعب الطلبة الجزائريين دورا بارزا في إطار جمعية شمال إفريقيا خاصة خلال مؤتمراتها الدورية والسنوية، وكانت لا تقبل الطلبة المتجنسين أعضاء فيها، ففيما بين 20 و22 أفريل 1931 عقدت هذه الجمعية مؤتمرها الأول بالمدرسة الخلدونية في تونس وشارك فيها وفد طلابي جزائري هام من سبعة أشخاص برئاسة الصيدلي فرحات عباس وفيما بين 25 ـ29 أوت 1932 عقدت مؤتمرها الثاني بنادي الترقي في الجزائر العاصمة وترأس اللجنة التحضيرية الطالب الجزائري (قدور ساطور؛، وترأس المؤتمر فرحات عباس، وخطب فيه الشيخ الطيب العقبي، وتوفيق المدني واستقبل أعضاؤه في قسنطينة من طرف الشيخ عبد الحميد بن باديس، وفي شهر أكتوبر 1934 انعقد المؤتمر الرابع بها في المدرسة الخلدونية بتونس برئاسة المنجي سليم، وشارك فيه عن الجزائر السعيد الزاهري، ومفدي زكرياء، وغيرهما.

وفيما بين 6 و15 سبتمبر 1935 انعقد المؤتمر الخامس بمدينة تلمسان وافتتحه الشيخ البشير الإبراهيمي، وانعقد المؤتمر السادس في تيطوان بالمغرب وذلك عام 1936. وناقشت كل هذه المؤتمرات قضايا التعليم ومشاكلها المختلفة، وقضايا التاريخ

الوطني، والتربية الوطنية والمرأة، ودافعت بصورة خاصة عن الشخصية العربية الإسلامية للجزائر التي مسخها الاستعمار الفرنسي وعمل على طمسها، وتشجيع الطلبة الجزائريين بدعم إخوانهم التونسيين والمغاربة فطالبوا بتحسين أحوال التعليم، وفرض اللغة والأدب العربية الإسلامية في المدارس بكل مراحل التعليم، وطالبوا برفع الضيم المسلط على شعبهم.

وابتداء من هذا التاريخ بدأ قطاع الطلبة الجزائريين ينمو ويتطور بكل تيارات وأيديولوجياته واتجاهاته المختلفة، والمتنوعة، سواء في المدرسة الفرنسية أو المدرسة العربية المتمثلة في المسجد والزاوية والكتاب، ولم يحل عام 1954 حتى كان هذا القطاع من الطلاب يمثل جيلا كبيرا في العدد والعدة الثقافية وشارك في الكفاح السياسي والمسلح كغيره من باقي الفئات.

1ـ لمحة عن وضع التعليم في الجزائر عشية اندلاع الثورة التحريرية :

كان الجزائريون يزاولون التعليم كالتالي:

1) كانوا يتعلمون مبادىء القراءة والكتابة وحفظ ما تيسر من القران الكريم في الزوايا والمساجد والكتاتيب بالأرياف والمدن والقرى وعدد الذين كانوا يزاولون التعليم بهذه الصفة غير معروف بالتحديد وإن كان يقدره بعض المؤرخين بـ : 510 الاف طفل.

2) التعليم في المدارس الأهلية الخاصة بالجزائريين ثم في المدارس العامة بعد دمج التعليمين ابتداء من من قانون سبتمبر 1947 وعدد الذين كانوا يزاولون التعليم يصل إلى حوالي 100 تلميذ وقد ارتفع هذا العدد ليصل قبل اندلاع الثورة إلى حوالي 200 ألف. أما عدد الطلبة الثانويين ضد هذا العدد فكان حوالي 07 الاف.

3) تلميذ التعليم الحر، وهنا نجد أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هي الرائدة في هذا الميدان منذ نشأتها في (05 ماي 1931) بحيث أسست أزيد من 140 مدرسة وتمدرس بها حوالي 50 ألف طالب كما كان لحزب الشعب 17 مدرسة وللميزابيين 07 مدارس في وادي ميزاب و10 في المناطق الأخرى، كما كانت بالعاصمة مدرسة الشبيبة الجزائرية ومدرسة السلام وقد تعلم في كل من هذه المدارس ما يزيد عن 08 الاف تلميذ.

4) التعليم خارج الوطن: كانت قبلة الدارسين باللغة العربية هي تونس حيث يوجد بها جامع الزيتونة بالنسبة لسكان شرق البلاد غالبا وجامع القرويين بالمغرب بالنسبة لسكان غرب البلاد، كان عددهم في الأول حوالي 300 طالب وفي الثانية حوالي 100 طالب. ابتداء من العام الدراسي 1951 / 1952 بدأت جمعية العلماء المسلمين إرسال بعثات للبلاد العربية فأرسلت 25 طالبا لمصر و11 طالبا للعراق و10 طلاب لسوريا و14 طالباً إلى الكويت وتوالت البعثات لهذه البلدان، وللسعودية والأردن فيما بعد حتى بلغ عددهم عام (1955) 109 طالبا.

5) أما بالنسبة للدارسين بالفرنسية فكانت وجهتهم فرنسا بعد جامعة الجزائر حيث بلغ عددهم في العام الدراسي (1954 / 1955) 684 طالبا في جامعة الجزائر و1400 في فرنسا.

هذا هو الوضع العام بالتقريب عن الحال الذي كان عليه التعليم ببلادنا عشية اندلاع الثورة المسلحة.

2 ـ تأسيس الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين

قبل الثورة المسلحة لم يكن للطلبة الجزائريين منظمة خاصة بهم، تحمل همومهم واهتماماتهم أو على الأقل تدافع عن حقوقهم كطلبة، كون السلطات الاستعمارية

لم تسمح لهم بممارسة ذلك. بينما استطاع الطلبة الجزائريون في تونس سنة 1946 تكوين جمعية خاصة بهم كان مؤسسها هو الطالب «أحمد بورنان» وعدد من رفاقه، والتي أعيد تشكليها سنة 1951, ولم تلبث هذه الجمعية حتى ظهر الخلاف والانقسام بين أعضائها، فانقسموا إلى قسمين قسم بقي في الجمعية الأصل وهم المنتمون إلى حزب الشعب وقسم كون جمعية «البعثة من طرف المنتمين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

أما في فرنسا فكانت بها «جمعية المسلمين لشمال إفريقيا» والتي مقرها بباريس، وقد أسست سنة 1939 وكانت تشمل طلبة أقطار المغرب العربي الثلاث (الجزائر، تونس، المغرب) وكان لهذه الجمعية أعضاء تابعون لها بجامعة الجزائر.

وفي هذه الفترة أخذ الطلبة الجزائريون، أو غيرهم من غير الجزائريين يؤسسون تقريبا في كل جامعة من الجامعات الفرنسية جمعية تابعة «لجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا» فتعتبر فرعا لها، أو جمعيات خاصة بهم مستقلة عن الجمعية الأخيرة، وكثيرا ما كانت هذه الجمعيات الطلابية التي تؤسس بعيدا عن باريس، تتصرف في شؤونها بكل حرية وتعتمد على نفسها في حل مشاكلها، دون الرجوع إلى أي كان أو حتى للجمعية الأم.

وفي سنوات الخمسينيات من القرن الماضي سعى الطلاب المغاربة (الجزائريون، التونسيون، والمغاربة) لإيجاد الإطار الوحدي لعملهم السياسي والاجتماعي، وذلك بتأسيس منظمة طلابية مغربية واحدة، تجمع شمل طلاب أقطار المغرب : الجزائر، تونس، المغرب ولكن باءت هذه المحاولات بالفشل في سنة 1953, بسبب ابتعاد التونسيين عن المجموعة وتأسيس جمعية خاصة بهم، أطلقوا عليها اسم «الاتحاد العام للطلاب المسلمين التونسيين». ومن هنا انبثقت لدى الطلاب الجزائريين فكرة تأسيس منظمتهم الخاصة بهم، بحيث ظهرت إلى الوجود بعد سنة

واحدة من هذا التاريخ الأخير، منظمة طلابية عرفت باسم «اتحاد الطلاب الجزائريين لباريس (U.E.A.P) أو «اتحاد الطلبة الجزائريين لمدينة باريس» وقد أشرف على تأسيس هذه المنظمة وسيرها الحزب الشيوعي الفرنسي. ولكن بعد فترة قصيرة مضت على تأسيس هذه الجمعية الأخيرة اتضح للطلاب الجزائريين أنها ليست الإطار الملائم لنشاطهم السياسي والاجتماعي. زيادة على التطورات السريعة التي عرفتها الثورة الجزائرية في عامها الثاني، الشيء الذي فرض على الطلاب الجزائريين تأسيس منظمة طلابية تختلف شكلا ومضمونا في اتجاهاتها ومواقفها الخاصة والعامة عن سابقاتها.

أ ـ المؤتمر التأسيسي للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين:

ومن هذا المنطلق، ومبادرة من «جمعية الطلاب المسلمين لشمال إفريقيا» وأعضائها المقيمين في الجزائر، وبوحي من جبهة التحرير الوطني، التي كان من أهدافها تنظيم كل الفئات الاجتماعية وتجنيدها للكفاح المسلح، وبعث منظمات وطنية جماهيرية تستقطب كل القوات الحية في البلاد، وتهيئها للكفاح المسلح التحريري، وتفصلها عن الهياكل التنظيمية للإدارة الفرنسية الاستعمارية التي كانت ترفض كذلك أن تعترف بشرعية الثورة المسلحة الجزائرية. عقد اجتماع تحضيري في باريس بين الرابع والسابع من شهر أفريل سنة 1955م، للنظر في كيفية إنشاء منظمة طلابية جزائرية، وقد ضم هذا الاجتماع ممثلين جزائريين عن كل الجامعات في فرنسا، وانتهى المجتمعون إلى تأسيس منظمة نقابية مستقلة لهم سموها «الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين» والتي اشتهرت باسمها المختصر ـ أوجيما (UGEMA) وذلك رغم المعارضة الشديدة التي أبداها الطلبة الشيوعيون في باريس وتولوز، الذين رفضوا بالأخص أن يشمل المنظمة هذه كلمة «مسلمون»،

ولم يكن تأسيس المنظمة في حد ذاته هو الذي أقلقهم، وإنما الشيء الذي أقلقهم أكثر هو إدراج كلمة «مسلمين» في تسمية المنظمة. ولكن ذلك لم يؤثر بأي شكل من الأشكال على المنظمة الجديدة، التي أصرت على التمييز بينها وبين المنظمات الأخرى الطلابية التي كانت تعمل في الجزائر أو في فرنسا، بإدخال كلمة «مسلمين» في تسميتها، ومن جهة أخرى فهذا النعت «المسلمين» بالنسبة إليها، هو ذو دلالات عدة وبنية حضارية وثقافية وسياسية.

بعد الانتصار المؤقت الذي أحرزه أنصار حرف (M) على إخوانهم الرافضين له، شرع التنظيم الجديد في التحضير لمؤتمره التأسيسي حتى يكتسب الصبغة الشرعية، وقد تم التحضير لهذا المؤتمر من لجنة دائمة، وانعقد المؤتمر بباريس في ما بين 8 و14 جويلية من عام 1955 بقاعة التعاضدية (Mutualité) وذلك بحضور شخصيات ثقافية وسياسية مرموقة، وممثلين عن الاتحاديات الطلابية بما فيها الاتحاد الوطني للطلبة الفرنسيين (UNEF) ممثلا في شخص نائب رئيسه روبار شابوي (Rober chapuis). وفي هذه المناسبة التاريخية قدم الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين (UGEMA) برنامجه في الخطاب الافتتاحي الذي تلى من طرف أحمد طالب الإبراهيمي حيث استعرض أمام الحضور الخطوط الرئيسية لبرنامج الاتحاد حاضرا ومستقبلاً، وتمت المصادقة على البرنامج من طرف المؤتمرين، كما تمت تزكية قارئى هذا البرنامج ليتولى رئاسة الاتحاد في مسيرته القادمة التي تنتظره.

وتمحور البرنامج حول ثلاثة نقاط رئيسية هي :

أولا: جمع شمل الطلاب الجزائريين، وتوحيد صفوفهم، وذلك باستيعاب أكبر عدد ممكن منهم.

ثانيا: العمل على إعطاء اللغة العربية مكانتها، ووضعها في إطارها الطبيعي،

الذي أبعدت عنه منذ سقوط البلاد في براثين الاحتلال الفرنسي، باعتبار أن هذه اللغة هي المحرك الأساسي للثقافة الجزائرية.

ثالثا: مشاركة الاتحاد في الحياة السياسية للبلاد، مشاركة فعالة « فلا يمكنه بأي حال من الأحوال التزام الحياد، أو البقاء على هامش ما يجري من أحداث في الوطن».

وفي ما يخص هذه النقطة الأخيرة المتمثلة في المشاركة في الحياة السياسية للبلاد، يبدو أن ذلك للتمويه على الدور الحقيقي للاتحاد فقط وقد جاء في خطاب أحمد طالب، على وجه الخصوص مايلي:

ـ « أيها الطلبة، علينا أن نكافح في سبيل تعبئة الطلاب الجزائريين مكافحة كبيرة ـ لتذليل الصعوبات التي تعترض طريقنا...»

ـ « أيها الطلاب المسلمون، إننا نتألم من أعماق أرواحنا، ونحن نشاهد «اضطهاد الاستعمار» للغتنا واعتبارها كلغة أجنبية في بلادنا، وهي المحرك الأساسي لحضارتنا، ومن ثم لن يهدأ لنا بال إلا عندما تسترجع مكانتها اللائقة بها شرعا وقانونا».

ـ « علينا نحن المحظوظون بين شبابنا أن نكافح كفاحا مستمرا لضمان التعليم لكل طفل جزائري، وصل سن الدراسة...سننتزع لأطفالنا التعليم والتربية التي هي حق من حقوقهم المشروعة». والملاحظ من هنا أن اتحاد الطلاب الجزائريين لم يفصل بين مشاكله ومشاكل شعبه، ومن ثم لم تكن لديه «قضية خاصة» وأخرى «عامة» إنما المشكلة بالنسبة إليه كانت مشكلة الشعب الجزائري وككل، حسب ماكان يعيشها ويتخبط في تطوراتها التي لم تكن يوما في صالحه.

ـ وهكذا تم الإعلام الرسمي للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، وصار له مكاتب فرعية في كل الجامعات التي يدرس بها جزائريون، وللاتحاد مكتب إداري مكون من سبعة عشر عضوا (17) وهو السلطة العليا بعد المؤتمر ومكتب تنفيذي

مكون من خمسة أعضاء (5) ولجنة مالية مكلفة بمراقبة أموال الاتحاد. كما اختيرت باريس مقر للجان ولانعقاد المؤتمر وقتيا نظرا لقانون حالة الطوارىء السائدة انذاك عبر التراب الوطني.

تحت ظل جبهة التحرية الوطني، عمل الاتحاد في إطار ثوري بحت، وتنسيق تام مع الجبهة، ولئن كان الاتحاد من الناحية التكتيكية، قد أعلن بواسطة لسان رئيسه الأول أحمد طالب الإبراهيمي، منذ تأسيسه أنه سيعمل على أن يكون «حلقة وصل» بين الثقافتين العربية والفرنسية، فإن التطورات السريعة التي شاهدتها الحرب التحريرية الوطنية، ويأس الاتحاد من السياسة الاستعمارية الفرنسية، ومن مواقفها السلبية الثابتة من القضية الجزائرية، جعلته يحدد مواقفه من فرنسا الاستعمارية ويبتعد عنها نهائيا ليصبح «وحدة قتالية» من وحدات جيش التحرير الوطني.

وإذا كان الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، في أول أمره قد شرع في نشاطه السياسي منددا بالمظالم الفرنسية في الجزائر، موجها نداءاته العديدة إلى الرأي العام الفرنسي، فإن الفضائح والمذابح التي ارتكبها الفرنسيون في الجزائر كرد فعل عنيف على أحداث 20 أوت 1955 بالشمال القسنطيني، الذي أخذ شكل إبادة جماعية للأبرياء، والتدمير الشامل للقرى والمداشر، جعل الطلبة الجزائريين يرفعون لائحة تنديد شديدة اللهجة للسلطات الفرنسية الرسمية محذرين إياها من مغبة التمادي في سفك دماء الأبرياء والقمع الوحشي، ولم يستفق الاتحاد العام للطلبة للمسلمين الجزائريين من هذه الصدمة حتى وجد المتابعة والاغتيالات تمس عناصره ،فتم إيقاف بعض الأعضاء من طرف البوليس الفرنسي بحجة التآمر على السياسية الفرنسية والتحريض على التمرد والعصيان، والتشجيع على حمل

السلاح، فكان ضحية هذه التوقيفات مثلا الطالب الجزائري محمد رشيد عمارة، الذي ألقت عليه الشرطة الفرنسية القبض في 07 ديسمبر 1955, بحجة أنه يوزع مناشير تحريضية تهدد بالموت الجزائريين الذين تحدثهم أنفسهم بالمشاركة في الانتخابات التشريعية، التي ستقام في الثاني من شهر جانفي 1956, بالإضافة إلى هذا التوقيف فقد تم العثور على جثة الطالب بلقاسم زدور بالقرب من الجزائر، والذي سبق أن تم إعتقاله من طرف البوليس الفرنسي بوهران في 06 نوفمبر 1955.

وعلى إثر هاذين الإعتقالين اللذين وقعا في وقت واحد تقريبا على الطالبين محمد رشيد عمارة في الجزائر العاصمة وبلقاسم زدور في وهران أصدر الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين بتاريخ: 15 / 12 / 1955 منشورا، وقد وزع على وسائل الإعلام، وفيه يندد الاتحاد بأعمال القمع التي تمارسها السلطات الاستعمارية ويطالب المصالح الفرنسية المعنية باحترام الإجراءات القانونية الخاصة فيما يتعلق بمدة الحبس الاحتياطي الذي لاينبغي أن تفوق ثمان وأربعين ساعة في محلات السلطات الإستعمارية ويندد بعمليات التعذيب الجسماني التي يتعرض لها السجناء الجزايريون.

وكان المنشور كافيا ليثير رد فعل الغلاة من قادة الاتحاد الوطني للطلبة الفرنسيين وفي مقدمتهم السيد (جاك لابورت) الذي صرح بأن موقف الهيئة القيادية للطلبة المسلمين الجزائريين يعتبر فعلا سياسيا ومن ثمة فهو عبارة عن ممارسة غير شرعية ومبادرة من شأنها تشجيع الخارجين عن القانون والمعتدين على العدالة الفرنسية.

وبعد الانتخابات التأسيسية للاتحاد، التي جرت يوم 02 جانفي 1956, جدد هذا الأخير نداءاته لفرنسا وحكومتها من أجل إيقاف سفك الدماء في الجزائر منددا

بشدة الاعتقالات اليومية التي تعرض لها الطلاب بدون سبب، كما استنكر الاتحاد في ذاته هذا التعذيب الوحشي الذي كان يسلط على المعتقلين والمساجين الجزائريين من طرف الفرنسيين، لكن بدون جدوى.

وهو ما جعل الاتحاد في 20 جانفي من نفس السنة المذكورة أن يعلن عن نصف شهر تضامني مع الطلاب المعتقلين واقفا ضد سياسة العنف التي تنتهجها فرنسا في الجزائر، وذلك بالإضراب عن الطعام والدروس لمدة يوم واحد (20 ـ 01 ـ 1956) وهو اليوم الذي حدثت فيه اصطدامات عنيفة بين الشرطة الفرنسية والطلاب الجزائريين، ليس في الجزائر فحسب، ولكن أيضا في فرنسا ذاتها. ومما زاد الأوضاع خطورة في هذا البلد الأخير هو التدخل العنيف الذي قامت به منظمة الطلاب الفرنسيين «الاتحاد الوطني للطلاب الفرنسيين» ضد مظاهرات الطلاب الجزائريين.

أما في الجزائر العاصمة وفي نفس اليوم المذكور سابقا فقد صادق الطلاب الجزائريون في اجتماع لهم على لائحة سياسية تضمنت على وجه الخصوص جانبيين:

1 ـ الجانب الطلابي:

ـ إطلاق سراح الطلبة المعتقلين فورا، وبدون أجل.

ـ التحقيق بصفة جدية في وفاة الطالب الجزائري زدور، ومعاقبة مرتكبي هذه الجريمة.

2 ـ الجانب الوطني :

ـ وضع حد نهائي للتنكيل بالجزائريين واضطهادهم من قبل السلطات الاستعمارية الفرنسية في الجزائر.

ـ الاعتراف بالقومية الجزائرية، وبحق الشعب الجزائري في الحرية وتقرير مصيره بيده.

ـ الشروع الفوري في المفاوضات ـ لإيجاد الحلول المناسبة للقضية الجزائرية ـ مع الممثلين الحقيقيين للشعب الجزائري.

هذا تقريبا محتوى النداء الصارم الذي وجهه الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين للسلطات الاستعمارية، لكن رد هذه الأخيرة كان كما هو متوقع، حيث كان أعنف بل شمل حتى الطلبة المغاربة، وبالإضافة إلى انحياز الطلبة الفرنسيين إلى جانب مواقف بلدهم مما كان سببا في توسيع شقة القطيعة بين الطلبة الجزائريين والفرنسيين أي باختصار، كل انحاز إلى مواقعه الطبيعية.

لكن موقف الطلبة الفرنسيين من الاتحاد العام للطلبة الجزائريين المسلمين لم يقف عند هذا الحد، بل وصل انحيازهم إلى متابعة بعض المثقفين الفرنسيين من ذوي الرأي الحر، ونذكر على سبيل المثال الأستاذ الفرنسي مندوز (man douze) المعروف بتعاطفه مع جبهة التحرير وذلك منذ أن نشر في (maghrébines consciences) مجموعة من مقالاته التي تحتوي على تصريحات لعبان رمضان موجهة إلى بيير مانديس فرانس (Pierre mendés France) ثم إقدام هذا الأستاذ على توجيه النسخة باسم المقاومة الجزائرية إلى الشعب الفرنسي علنا في 28 جانفي 1956, وذلك من فوق منصة قاعة والتعاضدية (mutualité) بباريس، وبعد شهر عاد الأستاذ المذكور لمواصلة التدريس بجامعة الجزائر لكنه فوجىء بحضور «اللجنة التنفيذية الجامعية للدفاع عن الجزائر الفرنسية» (CAU) تبلغه بقرار عزله من كل الجامعات الفرنسية وذلك بسبب تعاطفه مع القضية الجزائرية. وكان تاريخ 06 مارس 1956 يوما مشهودا في حرم جامعة الجزائر حيث عاد الأستاذ إلى مدارج التدريس. فأسفر هذا الحدث عن مشادات شرسة بين الطلبة الفرنسيين وأعضاء

الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين الذين تكفلوا بحماية الأستاذ الفرنسي المستهدف، وتمادى موقف الطلبة الفرنسيين إلى أن أنتهى بإجلاء هذا الأستاذ ومغادرته الجزائر إلى جهة غير معلومة.

ومن جهة أخرى إزداد موقف الطلبة الفرنسيين التي أشرنا إليها سابقا (L'U.N.E.F) تصلبا إزاء الطلبة الجزائريين، واهتمت منظمتهم «بالتهديد والإكراه الذين تمارسهما على الطلاب لجلبهم إلى صفوفها» و عن هذا يجيب أحمد طالب: « وإذا كان هناك إكراه أو ضعطٌ يمارس على الطلاب المسلمين الجزائريين ، فهو ضغط ضميرهم عليهم، الذي أبى أن يقف وقفة المتفرج على آلام شعبه، بل أملى عليهم التضامن مع آماله وأمانيه والمساهمة في كفاحه المشروع وللمرة الأخيرة ونؤكد على أمر هام وهو : إذا كانت كلمة «العصاة» أو «الخارجون عن القانون» نعني بها أناساً يطالبون بحقهم في الحرية، الذين يكافحون من أجل كرامتهم وحقهم في العيش، فالمسلمون الجزائريون بما فيهم إخوانهم الطلاب، كلهم «عصاة» أو «خارجون عن القانون».

ومن هذا نلمس المواقف الإيجابية التي اتخذها الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين من الثورة الجزائرية والدور الذي أداه الطلبة في التعبئة الوطنية بصفة عامة، وبين الأوساط بصفة خاصة.

ب ـ انعقاد المؤتمر الثاني للاتحاد الوطني للطلبة المسلمين الجزائريين:

وبعد تسعة أشهر من إنشاء وبعث الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين عقد الطلبة الجزائريون مؤتمرهم الثاني في الفترة الممتدة ما بين 24 و30 مارس 1956 في مدينة باريس بفرنسا رغم الإرهاب والملاحقات التي كانوا يتعرضون لها. فقد حضره، حسب الجريدة الفرنسية لوماند، أكثر من 60 ممثلا عن الطلاب الجزائريين

الذين قدرت أعدادهم بأكثر من ألف طالب، أي حوالي 40 ٪ من المجموع الكلي للطلاب الجزائريين. وصادق المجتمعون على لائحة سياسية دارت محاورها الرئيسية حول ثلاث نقاط هامة جدا تضمنت المطالب التالية:

- إعلان استقلال الجزائر.
- إطلاق سراح جميع المعتقلين والمسجونين الوطنيين.
- الشروع في المفاوضات مع جبهة التحرير الوطني.

وقد ترأس هذا المؤتمر وختمه السيد : « محمد خميستي» بكلمة جاء فيها على وجه الخصوص: «كيف نزاول دراستنا، ونحن في أرجلنا قيود العبودية؟ ... يطالب الطلاب المسلمون الجزائريون بحقهم في الحفاظ على شخصيتهم وأصالتهم، بدراسة وتعلم لغتهم وبالبحث عن جذورهم الثقافية، إن قضيتهم الأساسية، هي قضية الحرية والاستقلال اللذان يعتبران الركيزة الأساسية لكل ما يترتب عن ذلك».

وخلال هذا المؤتمر يتجلى بوضوح الموقف الثوري الحازم، تجاه الثورة التحريرية الجزائرية وكفاح الشعب الجزائري، وطالبوا باستقلال الجزائر، ودعوا الحكومة الفرنسية إلى التفاوض مع جبهة التحرير الوطني، رغم معارضتها لذلك، وهي حكومة اشتراكية بقيادة (قي موللي) الأمين العام للحزب الاشتراكي الفرنسي.

وقد اغتنمت السلطات الفرنسية فرصة إعلان نتائج هذا المؤتمر، ودعوته الصريحة، لاستقلال الجزائر، فقامت بإيقاف واعتقال عدد من الطلبة الجزائريين وتعذيبهم في باريس ومعظم المدن الفرنسية والجزائرية التي يوجدون فيها. وقاد (موسرون) أحداثا دموية عنصرية في مدينة مونبيلي ضد الطلبة الجزائريين، الذين

صمدوا، وصبروا، وتجلدوا، ولم يرهبهم ذلك ولم يثنهم عن نشاطهم الثوري، على حد ما جاء في جريدة المجاهد (لسان حال جبهة التحرير الوطني) العدد 74 (25 جويلية 1960 م). بل دفعهم إلى التفكير في الإقدام على خطوة أخرى أكثر جرأة ونجاعة بالنسبة للكفاح التحريري. وعزموا على إعلان الإضراب العام اللانهائي عن الدروس والامتحانات في الجامعات والمعاهد العالية الفرنسية بالجزائر وفرنسا والخروج من المجال الضيق إلى المجال الواسع في ميدان الكفاح المسلح الوطني الذي أصبح فرض عين على كل فرد، وليس فرض كفاية على جماعة معينة.

3 ـ الإضراب العام اللانهائي عن الدروس والامتحانات 19 ماي 1956

يذكر المجاهد الطالب صالح بن القبي في مجلة الجامعة الصادرة بتاريخ 24 ماي 1986 حول شهادته عن الاضراب، وهو الذي كان عضوا في مكتب فرع الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين بجامعة الجزائر. حيث يقول:« وإذا كان هذا الإضراب العام اللامتناهي قد تم الإعلان عنه من طرف طلبة جامعة الجزائر في اجتماع عام لهم فإن مبدأه كان قد تقرر منذ شهرين على الأقل من خلال مشاورات جرت بين ممثلي قيادة الثورة ومنهم عبان رمضان وبعض الطلبة ومنهم عمارة رشيد وبن يحيى ومن المؤكد أيضا أن السيد: بن خدة هو الاخر على علم بالوضع وكلف مكتب الاتحاد بمهمة اختيار موعد هذا الإضراب والأسباب المقنعة لتبريره.

أما من حيث الموعد فكان لزاما علينا أن يتم الإضراب قبل دخول الجامعيين في متاهات امتحانات آخر السنة وأما من حيث الأسباب فإن أجهزة القمع كانت توفر لنا العديد منها، وبالصدفة وقع اختيارنا على أضعفها، نبأ «اغتيال» أحد الطلبة

بمدينة جيجل من طرف الشرطة التي كانت اختطفته من العاصمة منذ ما يزيد عن شهـريـن..

وبمجرد ما تلقى المكتب هذا النبأ الذي جاء به والد الطالب، دعي جميع الطلبة إلى اجتماع عام تم المرة الأولى بنادي «الدكتور سعدان» مقر حزب البيان سابقا، وطرحت في الحين قضية الاضراب الشامل واللامحدود عن الدروس، بفضل تدخلات العناصر التي كانت منتمية إلى هياكل الجبهة السرية تقبلت الأغلبية الفكرة وتبنتها غير أن هذا لم يمنع وقوف أقلية في وجه المشروع تعارض بشدة كل ما معناه الانقطاع عن الدراسة. وقد برر بعضهم معارضته بتأكيده أن واجب الطالب المقدس إزاء الثورة ومستقبل الأمة يكمن في التفرغ للعلوم قصد توفير إطارات الغد. بينما رأى البعض الآخر أن اتخاذ مثل هذا القرار الخطير خارجا. «قانونيا عن صلاحيات فرع الجزائر بل أنه لايمن أن يصدر إلا عن قيادة الثورة ويفقد عبر الهيئات العليا للاتحاد العام للطلبة،وزاد الوضع تأزما والمناقشة تعقيدا إثر تدخل شخصيات غير طلابية تحذر من عواقب الإضراب وتنصح بالتأني والحكمة، ولم تسفر مداولات الجلسة الأولى عن أي نتيجة وتقرر عقد الاجتماع الثاني في اليوم التالي بدار الطلبة المسلمين «لاروبر تسو» رغم معارضة إدارتها الفرنسية، وهناك وفي جو زاده حماسا وجود العديد من تلاميذ الثانويات تم الإجماع على الإضراب».

كما يذهب الدكتور عمار هلال في كتابه نشاط الطلبة الجزائريين إبان ثورة نوفمبر 1954 أن الإضراب جاء بدافع من قادة الجبهة.. ففي 17 ماي 1956 أجمعت تقريبا كل الصحف الأوروبية بما في ذلك الفرنسية على أن تحركا مريبا قد ساد الأوساط الطلابية، ليس فحسب في الجزائر، لكن أيضا في تونس وغيرها من البلدان الأخرى الأجنبية التي يدرس بها الطلبة الجزائريون وأكدت بصورة خاصة

على أن بعض قادة الجبهة قد اتصلوا بالطلبة الجزائريين في تونس ووضع الطلاب الزيتونيون أنفسهم تحت تصرف الثورة الجزائرية وابدوا استعدادهم التام لتنفيذ كل ما تأمرهم به، وفي 18 ماي اجتمع الطلاب الجزائريون وصوتوا بالإجماع على النداء التاريخي للطلاب، الذي توجه إليهم، بمغادرة كراسي الجامعة والالتحاق بصفوف جيش التحرير الوطني.

وفي ليلة 19 ماي 1956 تسرب الطلاب عبر الحي الجامعي وأشعروا زملاءهم بالقرار التاريخي الذي اتخذته جمعيتهم، وفي الصباح الباكر افترق أعضاء مكتب الفرع الطلابي لمدينة الجزائر، والتحقوا بإخوانهم في الميدان، ولم يكن هذا الفريق من الطلاب، هو الأول الذي التحق بصفوف جيش التحرير الوطني، بل هناك عدة فرق أخرى من الطلاب التي سبقته إلى الميدان، وهو ما يثبت أن كل شيء كان مخططا ومدروسا ويؤكد ذلك ضعف السبب الذي اختير لإعلان هذا الإضراب وهو موت غير مؤكد حسب عبارات النداء ذبحا «من طرف شرطة جيجل بمساعدة الميليشية المحلية» لم يكن إلا وليد الاستعجال والافتقار إلى المبررات حيث أن هذا الأخير لازال والحمد اللّه حيا يرزق.

وهذا نص النداء التاريخي للدعوة للإضراب:

نص نداء الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين إلى الإضراب العام عن الدروس والامتحانات:

«أيها الطلبة الجزائريون :

بعد اغتيال أخينا زدور بن القاسم من طرف الشرطة الفرنسية، وبعد الفتك بأخينا الكبير الطيب ابن زرجب، وبعد المأساة التي أصابت أخانا الشاب

الابراهيمي التلميذ بالمعهد الثانوي ببجاية حيث أكلته النار حيا في قريته التي أحرقها الجيش الفرنسي أثناء عطلة عيد الفصح، وبعد تنفيذ الإعدام بدون تحقيق، ولا استنطاق، ولا محاكمة، على الأديب الجليل رضا حوحو الكاتب بمعهد ابن باديس بقسنطينة الذي كان في جماعة ممن أخذهم العدو كرهائن وبعد التعذيب البغيض والتنكيل الشنيع الذي قاساه الطبيب هدام بقسنطينة، والطبيبان بابا أحمد، وطبال، بتلمسان، وبعد إلقاء القبض على رفقائنا عمارة. ولونيس، والصابر، والتواتي، الذين انتزعوا وانقذوا اليوم من سجون الإدارة الفرنسية، وبعد إلقاء القبض كذلك على الرفيقين زروقي، وماجي، ونفي رفيقنا. ميهى، وبعد الحملات الرامية إلى ادخال الرعب في قلوب أعضاء الاتحاد العام للطلبة الجزائريين المسلمين، وبعد كل هذا فها نحن نرى الشرطة تختطف من بين أيدينا وساعة الفجر أخانا فرحات حجاج الطالب في القسم التحضيري للدراسات الجامعية، والمرشد بالقسم الداخلي للمدرسة الثانوية بابن عكنون بالعاصمة الجزائرية، وقد عذبته وحبسته عشرة أيام (بمشاركة السلطة القضائية والادارة العليا بالجزائر اللتين كانتا على علم بقضيته) إلى أن بلغنا،، وأحشاؤنا تلتهب من الأسى، أن شرطة مدينة جيجل ذبحته ذبحا بمساعدة الحراسة المحلية المسلحة.

ولنا أن نتساءل بعد تلك المناكر هل ذهبت أدراج الرياح، تلك الانذارات الصادرة من إضرابنا الرائع يوم 20 يناير 1956.

وحقيقة الأمر أن المزيد من الشهادات الدراسية لا يؤدي إلى تحسين الحالة الراهنة المتمثلة في جثث ذوينا المفتوك بهم فتكا ذريعا.

ولماذا يا ترى تصلح تلك الشهادات التي مازالت تعرض علينا بينما يناضل شعبنا نضال الابطال وتنتهك حرمات أمهاتنا وأزواجنا، وإخواننا، ويتساقط أولادنا، وشيخونا، تحت رصاص الرشاشات، ونيران القنابل، والكبريت المحرق.

ونحن «اطارات الغد» فماذا، ومن يعرض علينا لنسيره؟.. لاشك الخرائب، وأكواما من الأجساد الهامدة المقطعة إربا إربا، كالتي بمدن قسنطينة، وتبسة، وسكيكدة، وتلمسان، وغيرها، من المراكز الأهلية التي صارت أسماؤها مسجلة في تاريخ البطولة ببلادنا.

وإننا لنشعر بأن وقوفنا موقف القاعد المتفرج أمام الحرب، التي تجري معاركها تحت أعيننا يجعلنا شركاء في المفتريات البذيئة الصادرة من الأفاكين الآثمين ضد جيشنا الوطني الباسل، كما نشعر كذلك بأن الهناء الزائف الذي ركنا إليه لم يعد يرضي ضمائرنا.

ولذا فإن الواجب ينادينا إلى القيام بمهمات تفرضها الظروف علينا فرضا وتتسم بسمة السمو والمجد.

فالواجب ينادينا إلى تحمل الآلام ليلا ونهارا بجانب من يكاحون ويموتون أحرارا تجاه العدو.

وعليه فإننا نقوم من الآن بالاضراب عن الدروس والامتحانات لأجل غير محدود.

فلنهجر مقاعد الجامعات ولنتوجه إلى الجبال والأوعار.

ولنلتحق كافة بجيش التحرير الوطني وبمنظمته السياسية جبهة التحرير الوطني.

أيها الطلبة والمثقفون الجزائريون، أنرتد على أعقابنا والحال أن العالم ينظر إلينا والوطن ينادينا، والبلاد تدعونا إلى حياة العز، والبطولة والمجد.

الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين

في ختام النداء التاريخي، ينهي الاتحاد للطلبة العام المسلمين الجزائريين إلى جميع الطلاب أنه تقرر من الان مايلي: « وعليه فإننا نقوم من الآن بالإضراب عن الدروس والامتحانات لأجل غير محدود... فلنهجر مقاعد الجامعات ولنتوجه إلى الجبال والأوعار... ولنلتحق كافة بجيش التحرير الوطني وبمنظمته السياسية جبهة التحرير الوطني...».

ولأجل هذا أرسل فرع الجزائر وفدا لإقناع الطلبة الجزائريين بفرنسا كي يوافقوا على الإضراب فوافق طلبة جامعة باريس ومونبيلي وعارض الإضراب طلبة جامعة تولوز. كما أرسل الاتحاد رسائل أخرى لكل ما له علاقة بالإدارة الفرنسية يطالبهم فيها بتأييد كفاح الجزائر العادل.

وجاء انعقاد مؤتمر الصومام في 20 أوت 1956 ليؤكد على دور الطلبة الجزائريين في ثورة 1954. وبين المهام التي أنيطت بالطالب الجزائري في هذا المؤتمر ولتنفيذ قرارات هذا الأخير جعل الاتحاد من قضية تجنيد الطلاب في صفوف جيش التحرير الوطني محورا لنشاطاته وعمل على الاتصال بهم جماعات وفرادى مؤكدا لهم على واجبهم الوطني وما تنتظر منهم الثورة وكان الاتحاد قد انتهز في صيف سنة 1956 الفرصة في للوقوف ضد مرامى «الفروع الإدارية الخاصة» ـ لصاص (SAS) ـ التي كانت تجبر الطلاب الجزائريين على التطوع في صفوفها لبث دعايتها المسمومة بين الأوساط الشعبية في اضطهاد الشعب الجزائري والابتعاد عنها كلية.

وقد جاء في هذا النداء مايلي:

«إن الاستجابة إلى هذا الأمر بالدخول في خدمة المستعمر لامعنى له سوى أنه نكران لذاتك. ولا معنى له سوى أنك (أخي الطالب) وافقت على قتال زملائك الطلاب والطالبات، الذين يدفعون ضريبة الدم كل يوم دفاعا عن وطنهم وذلك منذ ثلاثة شهور خلت، وبناء عليه فالمطلوب منك، أن تعمل على إفشال هذ المحاولة

الاستعمارية العمياء، التي تريد منك أن تشترك في جرائمها، ومن ثم عليك أخي الطالب؛ أن تعزل عزلا نهائيا الإدارة الاستعمارية، وأن تلتحق قبل فوات الأوان بصفوف جيش التحرير الوطني، وجبهة التحرير الوطني أين ينتظرك واجب مقدس».

ومن واجبها أخذت الثورة بعين الاعتبار كل ظروف المنخرطين في صفوفها من طلاب الثانويات، والجامعات، والأطباء والشباب، وغيرهم من المثقفين ذوي الاختصاصات المختلفة، واعتبرتهم من المتعاونين الأساسيين معها، وقدرت كفاءتهم العلمية والثقافية حق تقديرها وأبعدتهم في أول الأمر عن الميادين الخطيرة والإطار الذي يعمل فيه عادة المقاتلون، وحاولت أن توفر لهم قدر الإمكان شيئا من الراحة والإطمئنان النفسي، لذلك نجد الجبهة تعين الطلاب المثقفين الذين التحقوا بصفوفها في ميادين عمل، هي من صميم اختصاصاتهم، فالطبيب مثلا يباشر عمله في هذا الاختصاص، يساعده الطلاب المتقدمون فيه الذي سبق لهم أن درسوا سنتين أو ثلاثاً في هذا الاختصاص كمساعدين أو كممرضين، ولكن ظروف الحرب كثيرا ما أدت إلى عدم هذا التحديد، فنجد الطبيب في كثير من الأحيان يضطر إلى حمل السلاح لرد العدو عن أعقابه، شأنه شأن الإداري أو المكلف بالشؤون الاقتصادية أو الثقافية أو القضائية.

وكذلك في ميدان الإعلام تتضح مساهمة الطلاب والمثقفين الجزائريين بقسط وافر في إنشاء الصحف المحلية وتمرير المناشير وتوزيعها. ومن الصحائف التي كانوا يساهمون في تحريرها وتوزيعها نذكر «الثورة» «صوت الجبل» «الحرب» دون أن ننسى لسان حال جبهة التحرير «المجاهد» كما زودت الثورة هذا القطاع في مطلع 1958 بتجهيزات حديثة كالكاميرات والمسجلات وغيرها من الآلات الحديثة من شأنها أن تنقل أحداث الثورة.

كما لم تتردد جبهة التحرير الوطني في وضع ثقتها التامة في الطلاب الجزائريين، والمثقفين وذلك بتكليفهم بمسؤوليات عالية تتماشى وتكوينهم العلمي والثقافي. فكلفت جبهة التحرير الوطني أحمد طالب بكتابة رسالتين إلى الرأي العام الفرنسي. أولهما «رسالة إلى الفرنسيين» وثانيهما «رسالة إلى صديق فرنسي» وقد نشرت الرسالتان في صحيفة «لاكسيون، في عدديها الصادرين في 11 و17 جوان 1956.

وفي شهر جانفي سنة 1957 تتأكد مرة أخرى مدى الثقة التي وضعتها الثورة في الطلاب والمثقفين الجزائريين، وذلك بإسنادها لهؤلاء مسؤوليات هامة، عند تجديد المكتب الدائم لمنظمة الجبهة في فرنسا، الذي تشكل من محمد لبجاوي رئيسا له، ومحمد حربي ورضا مالك وغيرهم. لكن هذه للتشكيلة الجديدة لمكتب منظمة الجبهة في فرنسا لم تعمر طويلا.

إذا ما لبثت السلطات الاستعمارية الفرنسية أن انتبهت إليها واعتقلت تقريبا أعضاء المكتب، منهم لبجاوي، لونيشي وأحمد طالب، وسجنتهم، وذلك في نهاية شهر فيفري سنة 1957 أي بعد أقل من شهرين من تجديد المكتب ثم عينت له في ما بعد مؤقتا الطيب بولحروف.

دور تلاميذ الثانويات :

كل الطلبة الذين كانوا بجامعة الجزائر سنة الإضراب مجمعون على أن مازاد حركتهم حيوية وحماسا وصلابة هو مساهمة العديد من تلاميذ الثانويات في كل اجتماعاتهم وتظاهراتهم وقراراتهم، هذا بالإضافة إلى أنشطتهم الخاصة بهم والتي تميزت طيلة سنة 1956 بالعديد من المظاهرات والإضرابات وأعمال الشغب داخل المؤسسات العلمية وبالمقالات والتصريحات المؤيدة للثورة المسلحة والمناوئة للاستعمار تنشرها جرائد يصدرونها.

وكانوا منظمين في إطار جمعيات للتلاميذ المسلمين الجزائريين التي برزت للوجود في مختلف أنحاء الوطن، وبالنسبة لبعضها قبل تأسيس الاتحاد العام للطلبة، غير أن هذه الجمعيات كانت للظروف العويصة السائدة تفتقر إلى جهاز تنفيذي مشترك على المستوى الوطني ولهذا كانوا تعويضا لهذا النقص كثيرا ما ينسقون أعمالهم عبر فرع اتحاد الطلبة للعاصمة، ولا ننسى أن من بين الأسباب التي حثت مسؤولى الثورة للطلبة على التعجيل بالإضراب ذلك الغليان وحركات التمرد على الدروس التي أخذت تعم الثانويات في العاصمة والبليدة ومدن أخرى ولا ننسى أيضا أن ما رجح نهائيا الكفة لصالح المطالبين بالتخلي النهائي عن الدروس على مستوى الطلبة مساهمة العديد من تلاميذ الثانويات في التصويت.

وما أعلن فرع جامعة الجزائر قرار الإضراب حتى لبت نداءه جماهير التلاميذ وكان التحاقهم بالكفاح ـ المسلح بأعداد أوفر مما رفع نسبة الشهداء في صفوفهم.

ولقي النداء نفس القبول والحماس عند التلاميذ الجزائريين المسجلين في الثانويات الفرنسية سواء كانت على التراب الفرنسي أو في تونس أو المغرب.

ردود فعل الاستعمار على الإضراب:

رد الاستعمار الفرنسي على الإضراب ردا عنيفا، حيث اعتبره حادثا مؤلما في تاريخ تواجده بالجزائر، من ذلك أنه اتخذ إجراءات قاسية، طبقت على المضربين عن الدروس في كل من الجزائر وفرنسا، مثل تعطيل المنح، وإقصاءهم من المطاعم الجامعية، والأحياء الطلابية أين كانوا يسكنون عادة.

لم تقلق نشاطات اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين السلطات الاستعمارية الفرنسية فحسب، بل أيضا أقلقت الأنظمة الموالية لها، التي تقاسمها المصالح

والامتيازات في الجزائر، وذلك مثل الهيئات الطلابية الرئيسية خاصة منها المنظمتيين الهامتين « الجمعية العامة للطلبة الجزائريين» (LACEA) وهي منظمة طلابية فرنسية يمينية الاتجاه، ذات نزعة (ادماجية) ومن دعاة (الجزائر الفرنسية)، و«الاتحاد الوطني للطلاب الفرنسيين» (LUNGF)، الذي وقف موقفا سلبيا من الحرب التحريرية الوطنية الشيء الذي جعل الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، يندد بمواقفه السلبية هذه ويقطع علاقته معه في 10 ديسمبر 1956.

وفي 12 نوفمبر 1957 سجنت فرنسا «محمد خميستي» في مونبيلي وقادة الاتحاد بعده. ثم قامت بحل الاتحاد في جانفي 1958 بحجة إخلاله بالأمن العام واعتقلت قيادته وحاكمتهم يوم 25 جويلية 1959, كما استندت في حل الاتحاد إلى قانون 1956 الذي يمنع تأسيس الفرق القتالية.

نشاط الطلبة في العالم خلال الإضراب العام:

وقد جاء قرار الإضراب العام اللانهائي للطلاب، وتلاميذ الثانويات ليؤكد شعبية الثورة التي أصر المستعمرون على أنها من عمل عصابات وقطاع طرق، وأناس يتلقون أوامرهم من الخارج، وكان ضرورة حتمية لتصفية هذه الادعاءات الاستعمارية الطائشة، فالتحق حشد كبير منهم بالجبال، وحملوا الأسلحة مع رفاقهم المجاهدين وتوزع عدد كبير منهم في معظم بلدان العالم وشاركوا في عدة ندوات لشرح قضية شعبهم، والدفاع عن مصالح الثورة وأهدافها.

ومنها الندوة العالمية السادسة للطلاب في كولومبو بجزيرة سيلان التي قبلت الاتحاد العام للطلاب المسلمين الجزائريين عضوا منتدبًا فيها، وهي منظمة غربية تدعى (الكوسيك) وذلك رغم المعارضة الشديدة لعدد كبير من المنظمات

تدعى (الكوسيك) وذلك رغم المعارضة الشديدة لعدد كبير من المنظمات الطلابية الغربية كما قبلت المنظمة العالمية للطلاب"الشرقية التي تدعى (بوبى) عضويته فيها، كعضو مشارك كذلك وقد سمحت له عضويته في الإتحادين الطلابيين العالميين المتعارضين من حيث الايديولوجية ليؤدي دوره الجاد، وليحتل مكانته الحيادية بينهما، على أساس مبدأين إثنين :

أولا : محاربة الاستعمار والأمبريالية بصفة عامة بكل الوسائل والسبل.

ثانيا : الإلتزام بالحياد، وتجنب الميول والأفكار السياسية التي تؤدي تقسيم العالم الطلابي، والعمل على تحقيق جبهة طلابية عالمية قوية تقف إلى جانب القضايا العادلة ومنها الثورة الجزائرية.

لقد كثف الطلاب الجزائريون جهودهم لدى كل الاتحادات الطلابية العالمية في كل من ألمانيا وسويسرا، وبلجيكا، وهولندا وأنجلترا، وإيطاليا، وروسيا، والهند والصين وأمريكا، ومصر، وسوريا، والعراق والسودان وتونس والمغرب الأقصى، وإسبانيا وبولونيا ورومانيا، وتشيكوسلوفاكيا وتركيا وغيرها وبهروا بقرارهم الرائع كل الأوساط الثقافية والنقابية في العالم وبرهنوا على تضامنهم الصادق وتلاحمهم مع شعبهم الذي يعاني ويقاسي الأهوال والمشاق الكبار كالقتل والتشريد والتعذيب الجهنمي بدون حدود، ولا مقاييس كأطباء وممرضين ومفوضين سياسيين ، وصناع للقنابل والأسلحة والذخيرة ومنسقين للعمل والدعاية.

وبهذا الموقف البطولي تعددت مظاهرات التضامن مع القضية الجزائرية في كل من إفريقيا وأمريكا وأسيا وأوروبا الشرقية والغربية، وتطورت حركة مساندة واسعة للحرب التحريرية وقد عبرت وفود اتحاد القارات عن تعريفها بكفاح وتضحيات وتطلعات الشعب الجزائري.

انعقاد المؤتمر الثالث للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين:

أثناء دورته الأولى المنعقدة بالقاهرة درس المجلس الوطني للثورة الجزائرية مسألة الإضراب اللامحدود و لما أجمع الأعضاء على أنه أدى المهمة المنتظرة منه فإنهم قرروا أمر اللجنة المديرة للاتحاد بأن تضع له حدا بمناسبة افتتاح السنة الدراسية 1957 / 1958 وقد تم بالفعل على إثر الاجتماع الذي عقد بباريس في اليوم 14 أكتوبر 1957.

ثم جاءت الخطوة الحاسمة في نهاية هذه السنة إذ عقد الاتحاد مؤتمره الثالث بضواحي باريس في الفترة ما بين 23 ـ28 من شهر ديسمبر 1957, صادق بالإجماع على لائحة السياسة العامة التي لفت فيها انتباه الرأي العام الفرنسي والعالمي لضرورة الضغط على الحكومة الفرنسية كي تحترم مبدأ الحق الطبيعي للشعوب في الجزائر، بالإضافة إلى ذلك أكد فيه ما جاء في مقررات المؤتمر الثاني المشار إليها سابقا.

وتجدر الإشارة هنا، إلى أن المؤتمر نجح نجاحا باهرا إذ حضر الجلسة الختامية مندوبو الاتحادات الطلابية إلى جانب ممثلي الاتحاد العام للطلبة والاتحاد العام الطلبة الولايات المتحدة الأمريكية، وقد تدخل هذان الأخيران بكلمتين قويتين كلفتهما الاستنطاق والطرد من التراب الفرنسي، وبعد شهر واحد من انتهاء أشغال المؤتمر وفشل نتائجها، أصدرت الحكومة الفرنسية قراراً يحمل تاريخ 28 من شهر جانفي سنة ثمان وخمسين وتسعمائة وألف ويقضى بحل الاتحاد بحجة انتمائه لجبهة التحرير الوطني، ولذلك دخل التنظيم الطلابي الجزائري مرحلة السرية إلى جانب باقي المنظمات الجماهيرية العاملة في صفوف الثورة، يستعمل جميع الوسائل لتحسين أيديولوجيتها على أرض الواقع.

الملاحق

أبناء الأهالي الجزائريين في المدارس الإبتدائية الإستعمارية

من 1880 ـ 1954

السنة	عدد التلاميذ	النسبة المئوية من عدد الأطفال الذين هم في سن التمدرس ٪
1880	1150	-
1884	1000 + 1150	٪ 01,9
1908	33400	٪ 04,3
1914	47200	٪ 05,0
1930	68000	٪ 08,8
1944	110,000	٪ 14,6
1953	302,000	٪ 15,4
1954	307,000	٪ 15,4

أبناء الأهالي الجزائريين من الطلبة
في معاهد التعليم العالي المفرنس

السنة	المعاهد العليا
1884	06 طلبة
1908	50 طالبا
1910	25 طالبا حاملا لشهادة جامعية

أبناء الأهالي الجزائريين من المنتسبين للجامعات والمدارس العليا بفرنسا من 1916 ـ 1955

السنة	عدد الطلبة	الجامعات والمدارس العليا بفرنسا
1916	61	
1932	100	
1941	142	
1946	360	
1951	386	
1952	442	
1953	572	
1954	513	
1955	584	

أبناء الأهالي الجزائريين من المنتسبين للمدارس المزدوجة أو الثانويات بفرنسا من 1870 ـ 1954

السنة	عدد الطلبة	المدارس المزدوجة أو الثانويات
1870	271	المدارس المزدوجة
1889	21	الثانويات الفرنسية بالجزائر
1893	69	=
1900	85	=
1905	125	=
1910	180	=
1914	386	=
1914	67 طالبا حاصلاً على شهادة الباكالوريا	
1940	1358	الثانويات الفرنسية بالجزائر
1945	1800	=
1951	4192	=
1954	626	=
1954	350 طالبا حاصلاً على شهادة الباكالوريا	

تقسيمهم حسب إختصاصاتهم :

- كلية الاداب : 243
- كلية الحقوق : 276
- كلية العلوم : 195
- كلية الطب : 100

المجموع 814

السنة الجامعية 1960 ـ 1961

الطلبة	حقوق	آداب	علوم	طب وصيدلة	**المجموع**
ذكور	398	367	232	148	**1145**
إناث	22	83	39	28	**172**
					1317

أما عن أعداد الطلبة الجزائريين، عند اندلاع الثورة، في البلدان العربية فليس لدينا عنها من إحصاءات مضبوطة، وكل ما هناك أن بعض الوثائق تقدر عددهم مثلا، في جامعة الزيتونة بتونس بحوالي 400 طالب.

أما في المغرب فتقدر نفس الوثائق أعداد الطلبة الجزائريين، الذين كانوا يدرسون في جامعة القرويين بفاس ففي سنة 1940 بـ : 19 طالبًا، ليقفز في سنة 1950 إلى أكثر من 186 طالبًا، فقط في هذه المؤسسة الأخيرة، من بينهم 111 طالبًا من وهران

والمناطق التابعة لها إداريا ونجد، في نفس الفترة الزمنية، أكثر من 51 طالبًا جزائريًا في مكناس، يدرسون « بمركز الدراسات الإسلامية» هناك، ويشمل هذا المركز الطورين التعليميين: الابتدائي والثانوي». وما نلاحظه مرة أخرى هنا، هو أن الطلاب كلهم تقريبا قد قدموا إلى هذه المؤسسة التعليمية من غرب البلاد، عدا أربعة منهم، الذين هم أصلا من وسط وشرق البلاد.

ويبقى أن نعرف عدد الطلبة الجزائريين في كل من مراكش وطنجة، علما أن المدينة الأولى تحتضن مدرسة هامة، وهي مدرسة بن يوسف، أما الثانية فنجد بها مركزا تعليميا هاما، وإن كان نشاطه مقتصرًا على الطور الابتدائي. أما في مرحلة متقدمة من عمر الثورة الجزائرية (1960)، فنجد الطلاب الجزائريين موزعين كالتالي عبر البلدان الأوروبية.

جدول الطلبة الجزائريين المسجلين في الجامعات الفرنسية في كل من الجزائر وفرنسا

1 ـ ففي فرنسا

السنة الجامعية	عدد الطلبة	ملاحظات
1960 - 1959	1230	بما في ذلك الأقسام التي تهيء للدخول إلى المدارس العليا (480 طالبًا) والجامعات (750 طالباً)

تقسيم الطلبة الجزائريين	حسب اختصاصهم
- أدب	95
- حقوق :	100
- علوم :	190
ـ طب ، صيدلة : 365 بما في ذلك طب الأسنان	
المجموع	**750**

2 ـ في جامعة الجزائر العاصمة :

السنة الجامعية	عدد الطلبة	ملاحظات
1954 - 1953	589	منهم 151 يتمتعون بمنحة
1960 - 1959	814	منهم 332 يتمتعون بمنحة

في أوربا وأمريكا يتوزع الطلاب الجزائريون حسب الجدول الآتي على البلدان التالية:

إسم البلد	آداب	حقوق علوم سياسية واقتصادية	علوم	طب وصيدلة	هندسة	تقنيون	الطور الثانوي	أطوار مختلفة	المجموع
ألمانيا الفدرالية	14	14	3	15	24	2	1	2	**75**
بلجيكا		1	2	4		4			**11**
كندا					1				**1**
إنجلترا							1		**1**
إيطاليا	1								**1**
النرويج						3			**3**
السويد				1		1			**2**
سويسرا	11	26	6	69	20	2		1	**135**
الولايات المتحدة الأمريكية	3	12	7	1	17				**41**

أما في البلدان الاشتراكية الأوربية فنجد الطلاب الجزائريين يتوزعون عبرها، في بداية السنة الجامعية 1960 - 1961 على الشكل التالي :

إسم البلد	آداب	حقوق علوم سياسية واقتصادية	علوم	طب وصيدلة	هندسة	تقنيون	الطور الثانوي	أطوار مختلفة	المجموع
ألبانيا		1		1	1			1	4
بلغاريا	1	3	1	11	9				25
ألمانيا الشرقية	7	11	6	9	27	16	4	2	82
النمسا		2	2		7				11
رومانيا					9				9
تشيكوسلوفاكيا	1	5		2	24		1	2	35
روسيا		1	1	3	27				32
يوغسلافيا	1	10		7	22	2			42

ملحوظة : «تقتصر هذه الجداول على الطلبة اللذين يتمتعون بمنحة في البلدان المذكورة أعلاه».

المصدر : افريك أكسيون، جويلية 1961.

المصادر والمراجع

1 ـ عمار هلال « نشاط الطلبة الجزائريين إبان ثورة نوفمبر 1954, النشر مطبعة لافوميك؛ الجزائر 1986م.

2 ـ عبد الله حمادي «الحركة الطلابية الجزائرية (1871 ـ 1962) مشارف ثقافية وإيديولوجية؛ منشورات المتحف الوطني للمجاهد؛ الطبعة الثانية الجزائر 1995 م.

3 ـ محمد العربي الزبيري «تاريخ الجزائر المعاصر » (1942 ـ 1962) الجزء الثاني؛ (محاضرات قدمت لطلبة معهد التاريخ جامعة الجزائر ببوزريعة؛ الموسم الجامعي 96 / 1997 م.

4 ـ يحي بوعزيز «ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر» ؛ الجزء الثاني (ثورات القرن العشرين)؛

منشورات المتحف الوطني للمجاهد؛ طبع المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار؛ الطبعة الثانية الجزائر 1996.

5 ـ مجلة أول نوفمبر العدد 57 / 1982 م «سياسية تاريخية ثقافية»؛ تصدر عن المنظمة الوطنية للمجاهدين؛ (مقال الحركة الطلابية في حرب التحرير للدكتور مسعود آيت شعلال).

6 ـ مجلة أول نوفمبر العرر 152 / 1999 م (مقال الطلبة وثورة التحرير للأستاذ جودي الأخضر بوالطمين).

7 ـ الجامعة عدد 24 ماي 1986 (نشرة دورية لوزارة التعليم العالي، تصدر عن ديوان المطبوعات الجامعية)؛

مقال إضراب 19 ماي وأهم الأحداث المحيطة به لعضو الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين فرع مكتب الجزائر «صالح بن القبي» .

8 ـ المجاهد عدد 74 (25 جويلية 1960)؛ اللسان المركزي لجبهة التحرير الجزائري.